



معهد دول الخليج
العربية في واشنطن
لبناء جسور التفاهم



العلاقات السعودية المصرية عند مفترق طرق

بقلم فهد ناظر

إن معهد دول الخليج العربية في واشنطن، الذي تأسس عام 2014، هو مؤسسة مستقلة غير ربحية تهدف إلى التعزيز من فهم وتقدير أهمية التنوع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في دول الخليج العربية. ويسعى المعهد، من خلال أبحاث الخبراء والتحليل وتبادل الزائرين والمناقشات العامة، إلى تشجيع النقاش البناء والمدروس و تثقيف صناع القرار الأمريكيين بشأن هذه المنطقة الجيوستراتيجية والحساسة.

© معهد دول الخليج العربية في واشنطن 2015. جميع الحقوق محفوظة.

لا يتخذ معهد دول الخليج العربية في واشنطن مواقف مؤسسية بشأن قضايا السياسات العامة؛ والآراء الممثلة هنا تعكس وجهة نظر المؤلف، ولا تعكس بالضرورة وجهات النظر الخاصة بمعهد دول الخليج العربية في واشنطن، أو الموظفين العاملين فيه، أو مجلس إدارته.

يحظر نسخ أو نقل أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو بأي وسيلة من دون الحصول على إذن خطي من معهد دول الخليج العربية في واشنطن. للاستفسارات، يرجى التواصل معنا على العنوان التالي:

Arab Gulf States Institute in Washington
1050 Connecticut Avenue, NW
Suite 1060
Washington, DC 20036

كما يمكن تحميل هذا المنشور من دون أي تكلفة عبر الموقع الإلكتروني التالي www.agsiw.org

حقوق صورة الغلاف محفوظة ل: خالد دسوقي / وكالة فرانس برس / صور غيتي

نبذة عن المؤلف

فهد ناظر هو زميل غير مقيم في معهد دول الخليج العربية في واشنطن ومحلل سياسي لدى شركة الاستشارات الاستخباراتية "جاي تي جي"، حيث يركز عمله على التنمية السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المملكة العربية السعودية. وهو أيضًا يدرس الجماعات الإسلامية المقاتلة في شبه الجزيرة العربية، مع التركيز بشكل خاص على المملكة العربية السعودية. وقبل اضطراره بهذا المنصب، عمل ناظر كمحلل سياسي في السفارة السعودية في واشنطن العاصمة. وقد نُشرت كتاباته في "فورين أفيرز" و"ذي نيويورك تايمز" و"سي إن إن" و"فورين بوليسي" و"بيبل غلوبال أونلاين" و"ذي ناشيونال إنترست" و"المونيتور" كما كتب "المملكة: السعودية وتحدي القرن الواحد والعشرين" (مطبعة جامعة كولومبيا، 2009).

27 تشرين الأول/أكتوبر 2015

العلاقات السعودية المصرية عند مفترق طرق

بقلم فهد ناظر

مقدمة

المملكة العربية السعودية ومصر ركيزتان توأمان لتقريبًا أي جبهة سياسية وأمنية عربية موحدة وقابلة للحياة، وقد بدأنا مؤخرًا بالتوجه نحو تعزيز علاقات أوثق بينهما. مصر أكبر دولة عربية من حيث عدد السكان ومركز الجزء الأكبر من الثقافة الشعبية والإنتاج الفكري العربي تأثيرًا. والمملكة العربية السعودية مركز ديني لا جدل بشأنه للمسلمين السنة، وبخاصة في العالم العربي، كما هي أكبر وأقوى الدول العربية المصدرة للنفط في منطقة الخليج. في أذهان الكثيرين، ترمز العلاقات المتناغمة بين الدولتين إلى الجمع بين الموارد البشرية والطبيعية المتوفرة للعالم العربي المعاصر والاستفادة منها تعاونيًا. وبالتالي، للعلاقات المصرية السعودية القوية أهمية رمزية وكذلك عملية بالنسبة للعالم العربي. ستستعرض هذه الورقة خلفية العلاقات المصرية السعودية لتقييم ما ينتظر البلدين على الأرجح، فيما يعملان معًا لتعزيز تحالفهما ويتعاونان لتعزيز مواقفهما الإقليمية الفردية والمشاركة.

في خلال تاريخ الشرق الأوسط الحديث، كانت الرياض والقاهرة حليفين وخصمين. ولكن منذ ثمانينات القرن الماضي، يعتبر كل من البلدين الثاني عمومًا صديقًا مهمًا. في خلال عهد الرئيس المصري حسني مبارك، وضعت مصر والسعودية جانبًا الخلافات التي بقيت من فترة الحرب الباردة العربية وأقامتا علاقات وثيقة جدًا. ويعمل البلدان على تعزيز تحالفهما بعد انتهاء بعض المخاوف السعودية تجاه مصر، بخاصة في خلال فترة حكم قصيرة للرئيس المصري محمد مرسي، وهو زعيم للإخوان المسلمين أطيح به في العام 2013. وقد اعتبر كل من العاهل السعودي السابق الملك عبد الله بن عبد العزيز وخليفته الملك سلمان بن عبد العزيز الرئيس المصري الحالي عبد الفتاح السيسي صديقًا مهمًا للرياض وممثل دولة مصرية داعمة للوضع الإقليمي الراهن تراتح المملكة لاحتضانه كحليف عربي أساسي.

ومع ذلك، لا يتم الدفع المتبادل باتجاه علاقات مصرية-سعودية أكثر دفئًا من دون منغصات. ثمة اختلافات سياسية كبيرة عدة بينهما، كما بشأن سوريا واليمن على سبيل المثال، وينبغي على البلدين تخطيها للبقاء مقربين. تقوم السعودية على وجه الخصوص ببناء مكانة إقليمية جديدة وأكثر حزمًا لنفسها مع نظرية الأمن الاستباقي، التي تضيف سياقًا إضافيًا للعلاقات مع مصر. وعملية الرياض العسكرية غير المسبوقة ضد المتطرفين الحوثيين المدعومين من إيران في اليمن¹ ومشاركتها المصرح بها علنًا في الضربات الجوية التي تقودها الولايات المتحدة ضد معقل الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) في سوريا² تُعدان خروجًا صارخًا عن المواقف السعودية التقليدية المتعلقة بالأمن والسياسة الخارجية، إذ لطالما فضلت المملكة الدبلوماسية العمل من وراء الكواليس والتوفيق بين مختلف الأطراف.

1 أوريين دورل Oren Dorell، الدعم الإيراني لحوثيين اليمن عمره سنوات "Iranian support for Yemen's Houthis goes back"، *years*، يو أس أي توداي USA Today، 20 نيسان/أبريل 2015.

2 السعودية تنشر صور الطيارين الذين شاركوا في الضربات ضد داعش "Saudi releases pictures of pilots who took part in strikes against ISIS"، العربية، 25 أيلول/سبتمبر 2014.

دفعت الاضطرابات التي أنشأتها انتفاضات "الربيع العربي" السعودية إلى إعادة تقييم العديد من الافتراضات التقليدية لسياستها الخارجية. فقد خسر السعوديون أحد أقرب حلفائهم عندما أطيح بالرئيس مبارك. واستغلت إيران، عدو المملكة الإقليمية الرئيسي المتمثل بعدم الاستقرار الإقليمي، لبسط نفوذها في مختلف البلدان، بما في ذلك العراق ولبنان وسوريا وحتى اليمن. ومع ذلك، ليس هذا التدخل³ الإيراني - كما يسميه المسؤولون السعوديون - إلا واحد من التهديدين الخطيرين لأمن المملكة.

ويشكل تصاعد الجماعات الإسلامية المسلحة، وبخاصة "داعش" التي تسيطر الآن على رقعة واسعة من الأراضي في العراق وسوريا المصدر الثاني لعدم الاستقرار. ويتابع تنظيم "القاعدة" أيضًا تهديد المنطقة، وبخاصة في اليمن. فتتظيم "القاعدة" في جزيرة العرب المرتبط بتنظيم "القاعدة" والذي يتخذ من اليمن مقرًا له لم يكتف بخرق الحدود السعودية لشن هجمات إرهابية داخل المملكة فحسب،⁴ بل تضم صفوف قيادته وعناصره عددًا كبيرًا من المواطنين السعوديين.⁵ مع تواجد تنظيم "داعش" في الشمال في سوريا والعراق وظهوره الآن بشكل متزايد في اليمن، ومكانة تنظيم "القاعدة" في جزيرة العرب الراسخة في الجنوب في اليمن، والنفوذ الإيراني الذي يحيط بهذه الدول جميعها على ما يبدو، يشعر السعوديون أنهم محاطون بخصوم رهيبين مختلفين جدًا ولكن خطيرين بالقدر عينه. ويزيد قلقهم من خلال تصور أن الولايات المتحدة في ظل إدارة الرئيس باراك أوباما تقلل من مشاركتها في الشرق الأوسط. وقد طُرحت أسئلة في السعودية بشأن التزام الولايات المتحدة تجاه المنطقة، على الرغم من تلميحات واشنطن المتكررة. وتتفاقم هذه الشكوك بالارتياح من أن الولايات المتحدة قد خففت من حدة مواقفها تجاه إيران. ويبقى الخوف الأعمق هو أن الولايات المتحدة تسعى ربما لبناء علاقة جديدة مع إيران على حساب المملكة.

تشارك مصر السعودية قلقها بشأن المتطرفين الإسلاميين الراديكاليين مثل "داعش"، وبخاصة في الشمال في شبه جزيرة سيناء وفي الغرب في ليبيا. وتشعر مصر أيضًا بقلق بالغ إزاء تهديد الإسلاميين الراديكاليين لمجتمعها وثقافتها، وتجد أنه صلة مباشرة بين التخريب الداخلي في المدن الكبرى والتهديد الذي يمثله المتطرفون الناشطون في المناطق النائية. ولكن يبدو أن القاهرة أقل اضطرابًا من مسار السياسة الأمريكية ولديها وجهة نظر مختلفة بعض الشيء عن الرياض بشأن مستقبل سوريا، كما أن موقفها المعارض للرئيس بشار الأسد أقل حدة. ومع ذلك، كانت مصر حريصة على الاستمرار في الحصول على دعم مالي كبير من دول الخليج، بما في ذلك السعودية، وهي في حاجة ماسة إلى هذه المساعدة لدعم اقتصادها. وعلاوة على ذلك، يبدو أن لمصر والسعودية مصلحة مشتركة في الإنشاء المحتمل لقوة تدخل عربية عسكرية مشتركة ومستقلة للاستجابة للأزمات الإقليمية ومواجهة الجماعات المسلحة الخارجة عن القانون. وفي الواقع، ينبغي أن يجمع تطوير قوة مماثلة بين الأسلحة عالية التقنية والموارد المالية من دول الخليج مع الموارد البشرية والخبرة العسكرية واسعة النطاق التي لا تزال خاصة بمصر في العالم العربي.

تعرضت الدول العربية للتهديد والضعف والتقويض بفعل الموجة الأخيرة من عدم الاستقرار والفوضى وتشردم الدولة التي ضربت المنطقة. وإذا كان العالم العربي سيأخذ زمام المبادرة لاستعادة الأمن في الشرق الأوسط، سيكون من الضروري أن تعمل هاتان القوتان العربيتان الكبيرتان والمؤثرتان والمتكاملتان معًا لعكس هذه الاتجاهات الضارة.

3 وزير الخارجية: السعودية مصممة على مواجهة التوسع الإيراني في المنطقة "FM: Saudi determined to confront Iranian expansion in the region"، العربية، 9 تموز/يوليو 2015.

4 هجوم على موقع حدودي سعودي يتسبب بمقتل عشرة "Attack on Saudi border post kills ten"، العربية، 5 تموز/يوليو 2015.

5 تنظيم "القاعدة" في جزيرة العرب "Al-Qaeda in the Arabian Peninsula (AQAP)"، كاونسل أون فورن ريليشنز Council on Foreign Relations، تم التعديل الأخير في 19 حزيران/يونيو 2015.

بروز عبد الناصر

شهدت خمسينات وستينات القرن الماضي أيضًا اضطرابات سياسية خطيرة في الشرق الأوسط. وبالإضافة إلى حربين كبيرتين مع إسرائيل، شهدت الدول العربية سقوط العديد من الممالك التي كانت السعودية تحافظ على علاقات ودية معها. كان انقلاب العام 1952 العسكري الذي أطاح بالملك فاروق في مصر حدثًا مهمًا جدًا، إذ ألهم انقلابات عسكرية لاحقة في العراق والسودان وليبيا والجزائر. وعززت خطابة الرئيس جمال عبد الناصر القوية والكاريزما الخاصة به سرده التاريخي والسياسي المغربي الذي أكد على الهوية العربية والوحدة وتحدي القوى الاستعمارية. وكان لهذه الخطابة صدى واسع في مختلف أنحاء المنطقة، بما في ذلك بين شريحة من السعوديين.⁶ وقد استقبلته حشود متحمسة في خلال زيارته إلى المملكة في العام 1956.⁷ ولكن خط الرئيس عبد الناصر السياسي الثوري الذي تحدى به النظام السياسي في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى آرائه الاقتصادية شبه الاشتراكية، كان يتناقض بشكل حاد مع موقف السعودية المحافظ الذي كان يفضل التوفيق بين الأطراف على المواجهات. وصوّر الرئيس جمال عبد الناصر السياسة السعودية كشكل من أشكال الاستسلام الذي يعرض مصالح الشعب العربي وكرامته للخطر. في البداية، حاول الملك سعود، الذي تولى العرش السعودي بعد وفاة والده في العام 1953، استيعاب الرئيس جمال عبد الناصر نظرًا لموجة الشعبية التي كان يتمتع بها بعد ما اعتبر انتصارًا ضدّ العدوان الثلاثي من قبل بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في أزمة السويس في العام 1956. ولكنّ الانقسام الإيديولوجي كان عميقًا إلى حدّ أنّ العلاقات بين البلدين أصبحت متوترة جدًا في خلال الجزء الأكبر من بقية حكم الرئيس عبد الناصر حتى وفاته في العام 1970.

اتضح هذا الاختلاف الفكري والفلسفي العميق أكثر ما اتضح في الحرب الأهلية في اليمن الشمالي والتي بدأت في العام 1962. كانت السعودية ومصر في طرفين نقيضين من هذه الحرب الدامية التي استمرت حتى العام 1970. واعتبرت المملكة حرب اليمن لحظة حاسمة في مواجهة ما بدا وكأنه موجة تيار جمهوري لا يمكن كبتها

ولكن خط الرئيس عبد الناصر السياسي الثوري الذي تحدى به النظام السياسي في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى آرائه الاقتصادية شبه الاشتراكية، كان يتناقض بشكل حاد مع موقف السعودية المحافظ الذي كان يفضل التوفيق بين الأطراف على المواجهات.

اجتاحت المنطقة، وكان الجزء الأكبر منها مستلهمًا أو مدعومًا من الرئيس جمال عبد الناصر بشكل نشط. ونظرًا للحدود الممتدة على طول ألف ميل بين البلدين وعلاقات السعودية الوثيقة مع العديد من أصحاب المصلحة اليمنيين، بمن فيهم الزعماء السياسيين والقبليين،⁸ اعتبر القادة السعوديون اليمن منذ فترة طويلة خطًا أحمر. ولذلك، انجرت السعودية دائمًا إلى صراعات اليمن العديدة.⁹ في خلال السنوات الثلاث الأولى من الحرب، قدّمت المملكة الدعم المالي والأسلحة إلى محمد البدر وفصيله الملكي، والذي أطاح به انقلاب عسكري مستوحى من مصر ومدعوم منها أيضًا في نهاية المطاف. ولكن مع ذلك، ظل الصراع يعكس تفضيل السعوديين اعتماد سياسة حذرة. وقد ضمنت قدرة المملكة العسكرية المحدودة في ذلك الوقت عدم مشاركة القوات السعودية بشكل مباشر في القتال. ولكنّ الرئيس جمال عبد الناصر كان ملتزمًا بانقلابات ثورية، وبحلول العام 1965، كانت مصر قد التزمت بمشاركة 70 ألف جندي في الصراع.¹⁰ لقي ما يقدر

6 مردخاي أبيير Mordechai Abir، المملكة العربية السعودية: الحكومة والمجتمع وأزمة الخليج، "Saudi Arabia: Government and Society and The Gulf Crisis" (نيويورك: روتليدج، 1993)، 36.

7 مردخاي أبيير Mordechai Abir، المملكة العربية السعودية: الحكومة والمجتمع وأزمة الخليج، "Saudi Arabia: Government and Society and The Gulf Crisis" (نيويورك: روتليدج، 1993).

8 برنار هيكل Bernard Haykel، اليمن، معضلة المملكة العربية السعودية "Saudi Arabia's Yemen Dilemma"، فورين أفيرز *Foreign Affairs*، 4 حزيران/يونيو 2011.

9 فهد ناظر Fahad Nazer، الحوثيون يختبرون الملك سلمان "The Houthis Test King Salman"، فورين أفيرز *Foreign Affairs*، 29 كانون الثاني/يناير 2015.

10 إحصان ثارور Ihsaan Tharoor، كيف كانت اليمن يومًا فيتنام مصر "How Yemen Was Once Egypt's Vietnam"، ذي واشنطن بوست *The Washington Post*، 28 آذار/مارس 2015.

بـ10 آلاف منهم حتفهم أثناء القتال.¹¹ وبحسب معظم الحسابات، استنزفت مغامرة الرئيس جمال عبد الناصر في شمال اليمن موارد مصر، ويرى مؤرخون عدة أنّ هذا الإفراط في الالتزام قد لعب دورًا كبيرًا في انتصار إسرائيل في حربها مع مصر في العام 1967.¹²

سرعان ما غيّر الملك سعود مساره بعد أن دعم الرئيس عبد الناصر في البداية، لأنه كان لا يزال يعتبر الملوك الهاشميين في الأردن والعراق خصوم السعودية الرئيسيين إلى حدّ كبير. بدأ يعتبر عبد الناصر وسياسته الثورية تهديدًا أكبر لأمن المملكة واستقرارها، وبخاصة عندما بدأ بعض العناصر داخل الجيش السعودي والوافدين العرب العاملين في حقول النفط في المنطقة الشرقية يشاركون في مختلف المؤامرات لإسقاط الحكومة.¹³ وأصبحت الخلافات السياسية بين عبد الناصر والملك سعود في نهاية المطاف شخصية، ولكن أدّى مزيج من سوء الإدارة المالية وصعوبة التكيف مع المشهد السياسي المتغير إلى استبدال الملك سعود بشقيقه الأصغر فيصل.

الملك فيصل والبديل «الإسلامي العالمي»

كان الملك فيصل قد سافر كثيرًا في سنّ مبكرة جدًّا، ما ولّد لديه حبًّا للشؤون الخارجية.¹⁴ وقد شغل ابنه سعود منصب وزير الخارجية السعودي لمدة 40 عامًا. وقد لعب الاثنان معًا دورًا رئيسيًا في جعل المشاركة الواقعية والدبلوماسية الهادئة بصمات للسياسة الخارجية السعودية.¹⁵ وبينما بشر عبد الناصر بالوحدة العربية وتحول جذري في النظام الإقليمي، أدرك الملك فيصل أنّ السعودية – كونها مهد الإسلام وموطن أقدس موقعين فيها، أي مكة المكرمة والمدينة المنورة – تتمتع بمكانة فريدة لتولي منصب قيادي في العالم المسلم. فأكدت السعودية على أهمية الهوية الإسلامية، بدلًا من القومية العربية العلمانية التي يتزعمها الرئيس عبد الناصر، وأنشأت سردًا بديلًا محافظًا ليكون بمثابة ثقل موازن.¹⁶ وقد رفع سرد «الإسلام العالمي» هذا من مكانة السعودية الإقليمية وحتى العالمية.

أنشأ الملك فيصل رابطة العالم الإسلامي في العام 1962 ومنظمة المؤتمر الإسلامي في العام 1969، كجزء من جهوده الرامية إلى تعزيز التضامن بين الدول ذات الأغلبية المسلمة. وفيما ركزت الرابطة على الأنشطة الثقافية والخيرية، أصبحت المنظمة منتدًى تستطيع البلدان ذات الأغلبية المسلمة من خلاله وضع نهج أكثر اتساقًا لمواجهة التحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وعلى الرغم من أنّ مصر كانت عضوًا مؤسسًا في منظمة المؤتمر الإسلامي، كان الرئيس عبد الناصر يدرك تمامًا الطموح الإسلامي العالمي وإمكانية أن يكون بديلًا عمليًا لقوميته العربية.¹⁷ وقد فهم أيضًا أنّ السعودية ستكون الزعيم الأكثر منطقية لهذا التيار ولا يمكن أن ينافس هو في هذا المجال.

¹¹ ليلي فاضل Leila Fadel، بعض المصريين يتساءلون عن دور البلاد في الصراع اليمني "Some Egyptians Question Country's Role in Yemen Conflict"، أن بي آر NPR، 3 نيسان/أبريل 2015.

¹² جيسي فيريس Jesse Ferris، مراهنه عبد الناصر: كيف تسبب التدخل في اليمن بخسارة حرب الأيام الستة وانهيار القوة المصرية "Nasser's Gamble: How Intervention in Yemen Caused the Six-Day War and the Decline of Egyptian Power" (برينستون: منشورات جامعة برينستون، 2015، Princeton University Press).

¹³ ناداف سافران Nadav Safran، السعي للأمن على نحو لا ينقطع *The Ceaseless Quest for Security*، (نيويورك: منشورات جامعة كورنيل، 1988، Cornell University Press)، 128.

¹⁴ ألكسي فاسيليف Alexie Vassiliev، الملك فيصل في المملكة العربية السعودية: شخصية، وإيمان، وفترات زمنية *King Faisal of Saudi Arabia: Personality, Faith and Times*، (لندن: منشورات ساق، 2013، Saqi Books).

¹⁵ بن هابرد Ben Hubbard، سعود الفيصل في المملكة العربية السعودية، القوة الهادئة في الشرق الأوسط، يموت في سنّ الـ75 "Saud Al Faisal of Saudi Arabia, quiet force in Middle East, Dies at 75"، ذي نيويورك تايمز *The New York Times*، 9 تموز/يوليو 2015.

¹⁶ ألكسي فاسيليف Alexie Vassiliev، تاريخ المملكة العربية السعودية *A History of Saudi Arabia*، (نيويورك: منشورات جامعة نيويورك، 2000، New York University Press).

¹⁷ مدوي الرشيد Madawi Al-Rasheed، تاريخ المملكة العربية السعودية *A History of Saudi Arabia*، (كامبريدج: منشورات جامعة كامبريدج، 2002، Cambridge University Press)، 133.

أبعد من «الحرب العربية الباردة»

دفعت هزيمة الرئيس جمال عبد الناصر في حرب العام 1967 مع إسرائيل الكثيرين في جميع أنحاء المنطقة إلى اعتبار الناصرية فشلاً ذريعاً. وقد اقتنع عبد الناصر في نهاية المطاف بعدم جدوى مغامرته في اليمن واعترف بفوائد تحسين العلاقات مع السعودية، التي بدت مستعدة لمساعدة مصر وسوريا للتعافي من الهزيمة المدمرة في العام 1967.¹⁸ وأنها وفاة عبد الناصر في العام 1970 المواجهة السياسية بين السعودية ومصر، التي كانت قد أربكت الملك سعود وتحدثت الملك فيصل. وسرعان ما تبع ذلك تحسين للعلاقات، انطلق ببادرة حسن نوايا في وقت مبكر من قبل الملك فيصل، قابلهما خليفة الرئيس عبد الناصر أنور السادات بمبادرة مماثلة. ويُزعم أنّ الملك فيصل قدّم للسادات 20 مقاتلة بريطانية كان السعوديون قد اشتروها لتوهم قبل سفر الملك إلى موسكو، ولكن يبدو أنّ السادات لم يقبلها. وردّاً على ذلك، أمر الأخير جيشه بتلقي الأوامر من الملك فيصل إذا كان خارج البلاد في الحالات الطارئة.¹⁹

بنى عبد الناصر عندما كان رئيساً علاقات وثيقة مع الاتحاد السوفياتي، واعتمد عليه للحصول على الدعم العسكري، وبخاصة بعدما زادت الولايات المتحدة دعمها لإسرائيل. ولكن أظهر الرئيس السادات إشارات مبكرة لاستعداده للحدّ من علاقات مصر مع موسكو والتحوّل نحو الولايات المتحدة.²⁰ وفاجأ السادات العديد من المراقبين عندما طرد المستشارين

وقد اقتنع عبد الناصر في نهاية المطاف بعدم جدوى مغامرته في اليمن واعترف بفوائد تحسين العلاقات مع السعودية، التي بدت مستعدة لمساعدة مصر وسوريا للتعافي من الهزيمة المدمرة في العام 1967.

السوفيات بإشعار مسبق بسيط في العام 1972.²¹ وقد أدى ذلك إلى تحسّن شبه فوري في العلاقات المصرية السعودية. ومع ارتفاع عائدات النفط السعودية بشكل كبير بحلول ستينات القرن الماضي، زادت المملكة دعمها لـ«دول المواجهة»، بما

فيها مصر. ولكن حافظ صناع السياسة السعوديون على توازن دقيق بين الدعم لمصر والأردن وسوريا والفلسطينيين في خلال الأزمات المختلفة مع إسرائيل، وعززوا في الوقت عينه العلاقات مع الولايات المتحدة، الراعي الرئيسي لإسرائيل. لم تكتف واشنطن باتخاذ زمام المبادرة في مساعدة المملكة في تطوير حقول النفط الضخمة فحسب، بل قدّمت أيضاً الأسلحة المتطورة والتدريب للجيش السعودي الوليد، بما في ذلك الحرس الوطني السعودي، الذي كُلف بمهمة الحفاظ على الأمن الداخلي.²²

على الرغم من أنّ عبد الناصر والقوميين العرب الآخرين اعتبروا لوقت طويل أنّه ينبغي بالمملكة استخدام نفوذها النفطي للضغط على الولايات المتحدة والدول الأخرى لتوقف دعمها لإسرائيل، لم تجرّب المملكة قبل العام 1973 - إلى جانب أعضاء عرب آخرين في منظمة الدول المصدّرة للبترول (أوبك) - «النفط كسلاح» ضدّ الدول الداعمة لجهود الحرب الإسرائيلية.²³ وعلى الرغم من التصدّر الشائع في كل من الغرب وأجزاء

18 يوسف م. إبراهيم Youssef M. Ibrahim، العرب يمهّدون الطريق أمام إعادة بناء العلاقات مع مصر "Arabs Smooth Way to restore" *Ties with Egypt*، ذي نيويورك تايمز *The New York Times*، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 1987.

19 ناداف سافران Nadav Safran، السعي للأمن على نحو لا ينقطع *The Ceaseless Quest for Security*، (نيويورك: منشورات جامعة كورنيل، 1988، Cornell University Press)، 147.

20 جورج لانكزوسكي George Lenczowski، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية "The Middle East in World Affairs"، النسخة الرابعة (نيويورك: منشورات جامعة كورنيل، 1988، Cornell University Press)، 606.

21 ناثانيال هاريسون Nathaniel Harrison، السادات يطلق حملة ضد السوفيات المتواجدين بعد في مصر "Sadat cracks down on Soviets still in Egypt"، *Christian Science Monitor*، 15 شباط/فبراير 1980.

22 رايتشل برونسون Rachel Bronson، أكثر سماكة من النفط: شراكة الولايات المتحدة المضطربة مع السعودية "Thicker Than Oil: America's Uneasy Partnership With Saudi Arabia"، (لندن: منشورات جامعة أكسفورد، 2008، Oxford University Press).

23 ف. غريغوري غوز الثالث F. Gregory Gause, III، ممالك النفط: التحديات الداخلية والأمن في دول الخليج العربية "Oil: Monarchies: Domestic and Security Challenges in the Arab Gulf States"، (نيويورك: منشورات مجلس العلاقات الخارجية، 1994، Council On Foreign Relations Press).

من العالم العربي بأنّ السعودية قادت الحظر، تعاملت الرياض في الواقع بحذر مع الموضوع ولم توافق عليه إلا كمالاً أخيراً.²⁴ وعندما دخل الحظر حيز التنفيذ، توخى القادة السعوديون الحذر لمنع تسبب ذلك بضرر لا يمكن إصلاحه للعلاقات مع واشنطن. ومع ذلك، غيّر الحظر قواعد اللعبة بشكل دائم لناعية العلاقات بين «الشمال والجنوب». وعلاوة على ذلك، وإلى جانب الطموح الإسلامي العالمي، رفع الحظر مكانة السعودية إلى مصاف الدول ذات الوزن الإقليمي الثقيل التي يمكن أن يكون لسياساتها آثار عالمية أيضاً.

في حين دعم السعوديون مصر أثناء حرب العام 1973 وبعدها، تفاجأت الرياض بقرار الرئيس السادات إلقاء خطاب داخل الكنيست الإسرائيلي في العام 1977، وبالتالي صياغة «سلام منفصل» مع إسرائيل. وعلى الرغم من أنّ السعوديين حاولوا قسارى جهدهم للحفاظ على موقف غامض بسبب التحسن الكبير في العلاقات مع الرئيس السادات والدور الذي لعبته الولايات المتحدة للتوسط في الاتفاق، كان ردّ الفعل في العالم العربي ضدّ الاتفاق حاداً. وشعرت السعودية أنها مضطرة لقطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر.²⁵ وبعد اغتيال السادات في العام 1981، تمت إعادة مصر إلى الحضن العربي وأعيد بناء العلاقات المصرية السعودية وتعزيزها.

مبارك، و«الربيع العربي»، والسياسي

في خلال عهد الرئيس مبارك، كانت مصر أحد أكثر شركاء السعودية موثوقة. فقد حافظ الرئيس مبارك على علاقات شخصية وثيقة مع الملك فهد والملك عبد الله. وخلافاً لبعض القادة العرب الآخرين الذين تلقوا مساعدات مالية سعودية كبيرة على مرّ السنوات، والذين كان منتظرًا منهم بالتالي دعم المملكة في محاولتها لطرده قوات احتلال الرئيس العراقي صدام حسين من الكويت في حرب الخليج في العامين 1990 و1991، كان موقف الرئيس مبارك الداعم للموقف السعودي حازماً لا لبس فيه.²⁶

ولم تكف المملكة بمنح مصر مليارات الدولارات من المساعدات المالية التي هي بأمر الحاجة إليها، بل بدا أيضاً أنّ السعوديين موافقين على حملة القمع التي شنتها الحكومة المصرية على الإخوان المسلمين ومؤيديهم.

لا شك في أنّ الملك عبد الله شعر بالخوف عندما أطيح بالرئيس مبارك في العام 2011.²⁷ وفيما تابع السعوديون علاقات ودية مع زعيم «الإخوان المسلمين» محمد مرسي،²⁸ الذي تمّ انتخابه رئيساً في العام 2012، كانوا

أول من رحّب بالإطاحة به في العام 2013.²⁹ ومنذ تلك اللحظة وحتى وفاة الملك عبد الله في كانون الثاني/يناير 2015، كان الدعم السعودي لحكومة الرئيس السيسي غير مشروط تقريباً. ولم تكف المملكة بمنح مصر مليارات الدولارات من المساعدات المالية التي هي بأمر الحاجة إليها،³⁰ بل بدا أيضاً أنّ السعوديين موافقين على حملة القمع التي شنتها الحكومة المصرية على الإخوان المسلمين ومؤيديهم.

²⁴ مدوي الرشيد Madawi Al-Rasheed، تاريخ المملكة العربية السعودية "A History of Saudi Arabia"، (كامبريدج: منشورات جامعة كامبريدج، 2002، Cambridge University Press)، 137.

²⁵ جايمس وينبراندت James Wynbrandt، تاريخ موجز للمملكة العربية السعودية "A Brief History of Saudi Arabia"، (نيويورك: منشورات إنفوباييز، 2010، Infobase Publishing)، 239.

²⁶ ف. غريغوري غوز الثالث F. Gregory Gause, III، العلاقات الدولية للخليج الفارسي "The International Relations of the Persian Gulf"، (نيويورك: منشورات جامعة كامبريدج، 2012، Cambridge University Press)، 106.

²⁷ أنغوس ماكديول Angus McDowall، رحيل مبارك يوجه ضربة للسعوديين "Mubarak's Departure Deals Blow to Saudis"، ذي وول ستريت جورنال The Wall Street Journal، 12 شباط/فبراير 2011.

²⁸ الرئيس المصري مرسي والملك السعودي عبد الله يناقشان الاستقرار الإقليمي "Egyptian President Mursi and Saudi King Abdullah discuss regional stability"، العربية، 11 تموز/يوليو 2012.

²⁹ ردة الفعل الدولية على الإطاحة بالرئيس المصري محمد مرسي "World reaction to the ousting of Egypt's Mohammed Morsi"، بي بي سي BBC، 4 تموز/يوليو 2015.

³⁰ السعودية تخصص 5 مليارات من المساعدات لمصر "Saudi Arabia pledges \$5 billion in aid to Egypt"، أسوشايتد بريس Associated Press، 9 تموز/يوليو 2013.

وفي خطوة مثيرة للدهشة، أدرجت الحكومة السعودية جماعة «الإخوان المسلمين» كمنظمة إرهابية في آذار/مارس 2014.³¹

أعرب بعض الصحفيين والسياسيين المصريين عن قلقهم عندما توفي الملك عبد الله وتولى الملك سلمان العرش.³² وتمحور اهتمامهم الرئيسي حول ما إذا كان الملك الجديد سيتابع السياسات المتشددة التي اتبعها سلفه في ما يتعلق بـ«الإخوان المسلمين» أو سيتفق مع الجماعة بطريقة ما، مركزاً بدلاً من ذلك على مخاوف أكثر إلحاحاً، مثل «داعش» وإيران.³³ ولم تكن هذه المخاوف بلا أساس، فقد أشاد بعض المراقبين بقمة الجامعة العربية في آذار/مارس 2015، واصفين إياها بنقطة التحول، واعتبروا أنّ مجرد حضور غالبية القادة العرب عرض للوحدة تشتت الحاجة إليه في مناخ من العنف الإقليمي غير المسبوق.³⁴ وركز آخرون على الالتزام بتشكيل قوة أمنية عربية مشتركة.³⁵ ومع ذلك، تشوّه عرض الوحدة العربية عندما نشر البلدان اللذان في مركز القمة - مصر المضيف والسعودية (التي كانت قد بدأت بالضربات الجوية ضد الحوثيين في اليمن) - علناً خلافاتهما بشأن سوريا.³⁶ وفي الواقع، ليست سوريا إلا مجرد قضية واحدة من بين قضايا عدة يختلف حولها الطرفان في الوقت الراهن. وفي حين أنّ الإطاحة بالرئيس الأسد من بين أهم أولويات المملكة - في المرتبة الثانية بعد استعادة حكومة الرئيس عبد ربه منصور هادي في اليمن، لم يول الرئيس السيسي سوريا سوى اهتماماً قليلاً نسبياً.

وحتى في المجالات الكثيرة التي يتفق عليها الطرفان على نطاق واسع، تبقى لديهما أولويات مختلفة. ففي ما يتعلق بالإرهاب والمتطرفين الإسلاميين، تشمل شواغل مصر الرئيسية على المتشددين في سيناء.³⁷ في الشمال والفضى في ليبيا في الغرب. تواجه السعودية التحدي القاضي بأن يصبح اليمن دولة فاشلة إقليمية أخرى، ما لا يقوم بتمكين الحوثيين فحسب، ولكن أيضاً تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» و«داعش» حتى. وينبغي عليها أيضاً التعامل بشكل عاجل مع «داعش» في سوريا والعراق. وفي الواقع، شنت «داعش» هجمات قريبة من الوطن من خلال ثلاث ضربات داخل المملكة منذ بداية هذا العام: اثنتين استهدفتا مسجدين للشيعية في المنطقة الشرقية،³⁸ والثالثة استهدفت مسجداً تستخدمه الأجهزة الأمنية في المنطقة الجنوبية من منطقة عسير.³⁹

في الأشهر الأخيرة، قال بعض المحللين السعوديين⁴⁰ والمصريين⁴¹ إنّ البلدين بحاجة إلى تجاوز خلافاتهما

31 مصطفى أجبيلي Mustapha Ajbaili، السعودية: الإخوان المسلمون جماعة إرهابية "Saudi: Muslim Brotherhood a terrorist group"، العربية، 7 آذار/مارس 2014.

32 دعاء الباي Doaa El-Bey، تهديدات للعلاقات المصرية السعودية "Threats to Egyptian-Saudi Relations"، الأهرام ويكلي Al Ahram Weekly، 30 تموز/يوليو 2015.

33 المرجع عينه.

34 حاشد عبده هاشم Hashed Abdu Hashem، ولادة القوة المشتركة... بداية تاريخ جديد "The Birth of the Joint Force....a new historical beginning"، الرياض (بالعربية)، 25 آب/أغسطس 2015.

35 بروس ريدل Bruce Riedel، هل يمكن أن تنجح هذه القوة العسكرية العربية المشتركة حيث فشل آخرون؟ "Can this joint Arab military force succeed where others have failed"، معهد بروكينجز The Brookings Institution، 30 آذار/مارس 2015.

36 ليزي ديردن Lizzie Dearden، المملكة العربية السعودية تتهم بوتين بالنفاق بسبب خطاب يحث على السلام بينما تشكل روسيا جزءاً من المشكلة "Saudi Arabia accuses Putin of hypocrisy over letter urging peace when Russia 'part of problem'"، ذي إندبيندنت The Independent، 30 آذار/مارس 2015.

37 يسري محمد Yusri Mohamed وأحمد حسن Ahmed Hassan، أكثر من مئة قتيل في مواجهات بين مسلحين والجيش المصري في شمال سيناء "More than 100 dead as militants, Egyptian army clash in North Sinai"، رويترز Reuters، 1 تموز/يوليو 2015.

38 أحمد العمران Ahmed Al Omran، «داعش» تتبنى تفجير المسجد الشيعي السعودي "ISIS Claims Bombing at Saudi Shiite Mosque"، ذي وول ستريت جورنال The Wall Street Journal، 29 مارس/آذار 2015.

39 انتحاري يقتل 15 شخصاً في مسجد موقع أمني سعودي "Suicide bomber kills 15 in Saudi security site mosque"، رويترز Reuters، 6 آب/أغسطس 2015.

40 خليل العناني Khalil al-Anani، هل يشرف شهر العسل المصري السعودي على الانتهاء؟ "Is the Saudi-Egypt honeymoon ending"، العربي الجديد Al Araby Al Jadeed، 8 نيسان/أبريل 2015.

41 دينا عزت Dina Ezzat، زيارة السيسي المرتقبة إلى السعودية: مهمة مستحيلة؟ "Sisi's upcoming visit to Saudi Arabia: Mission possible؟"، الأهرام أونلاين Ahram Online، 28 شباط/فبراير 2015.

بشأن سوريا واليمن وجماعة «الإخوان المسلمين»، أو على الأقل التصالح مع فكرة أنّ تصوراتهما للتهديد ليست متسقة تمامًا في الحالات كلها. تملي الجغرافيا وحدها واقع أنّ البلدين سينظران إلى الاضطراب في المنطقة على الأرجح من خلال عدسات مختلفة وأولويات متباينة. كانت مصر دائمًا تشارك أكثر بالسياسة الصعبة في شمال أفريقيا، في حين ركّز السعوديون على التهديدات الأمنية المنبثقة من منطقة الخليج. وليس من الضروري أن يؤثر ذلك سلبيًا على علاقاتهما بشكل عام ولا أن ينفي الأرضية المشتركة الأوسع نطاقًا بينهما، على غرار التزامهما المتبادل بدحر الإسلاميين الراديكاليين والشك المشترك في النوايا الإيرانية.⁴² ويتمثل التحدي الآن في كيفية تحقيق التوازن بين معالجة الأولويات الأمنية الخاصة بكل منهما بدون أن يبدو كل بلد غير مبالٍ بالتهديدات الأمنية التي تواجهه البلد الآخر.

الرياض تعيد تقييم «الإخوان المسلمين»

في وقت سابق من هذا العام، نصح بعض الصحفيين السعوديين البارزين مصر بتهدئة موقفها من «الإخوان المسلمين»، ما يشير إلى أنّ الملك سلمان سيعتمد على الأرجح سياسات جديدة بشأن القضايا الإقليمية.⁴³ وفي التصريحات العلنية الأكثر تعبيرًا من مسؤول سعودي، نقل عن وزير الخارجية السابق الراحل الأمير سعود الفيصل قوله في شباط/فبراير: «ليس لدينا أي مشكلة مع «الإخوان المسلمين»، فالمشكلة هي مع مجرد جزء صغير من تلك المنظمة.»⁴⁴ وبما أنّ الحكومة المصرية تستمر باعتبار «جماعة الإخوان» مصدر خطر كبير، ستؤثر حتمًا الجهود التي تبذلها السعودية لرأب الصدع مع المرتبطين بالجماعة العلاقات بين البلدين.

على الرغم من التأكيدات بأنّ الزيارة التي قام بها كبار قادة «حماس» إلى المملكة في حزيران/يونيو - والتي اشتملت على لقاءات مع الملك سلمان ونوابه الرئيسيين، وولي العهد الأمير محمد بن نايف، ووزير الدفاع محمد بن سلمان - كانت مجرد رحلة «دينية»، أشارت هذه الزيارة إلى انفتاح جديد قد يكون قريبًا. وقد جاء ذلك في أعقاب زيارات للمملكة قام بها راشد الغنوشي من «حزب النهضة» التونسي، والشيخ عبد المجيد الزنداني من «حزب الإصلاح» اليمني، وهمام سعيد من جماعة «الإخوان المسلمين» في الأردن.⁴⁵ بالإضافة إلى ذلك، كان حضور الشيخ يوسف القرضاوي - الذي كثيرًا ما يوصف بأنه الزعيم الروحي لجماعة «الإخوان المسلمين» - في فعالية بمناسبة اليوم الوطني السعودي في قطر في أيلول/سبتمبر يعطي مصداقية أكبر لهذا التفسير.⁴⁶ وتشير هذه التحركات الدبلوماسية إلى أنّ الملك سلمان يعتمد مسارًا جديدًا بشأن جماعة «الإخوان»،⁴⁷ وبخاصة في أعقاب الاتفاق النووي الدولي مع إيران. وبالنظر إلى أنّ الرياض أنشأت أيضًا تحالفًا جديدًا مع السودان وعززت العلاقات مع تركيا، يبدو أنّ المملكة تشكل في منطقة الشرق الأوسط اثتلافًا واسع النطاق بقدر الإمكان لمواجهة المحور الشيعي الإيراني الموحد الطويل الأمد والمتوسع.

⁴² خالد الدخيل Khalid Al-Dakhil، قلق مصري يدفع للاضطراب "A Disturbing Egyptian Concern"، ميدل إيست مونيتور Middle East Monitor، 8 حزيران/يونيو 2015.

⁴³ محلل سعودي يتوقع أن تغبّر السعودية دعمها لمصر "Saudi analyst expects the kingdom to change support for Egypt"، ميدل إيست مونيتور Middle East Monitor، 17 آب/أغسطس 2015.

⁴⁴ سمر المقرن Samar Al Muqrin، ساعتان مع سعود الفيصل "Two Hours with Saud Al Faisal"، موقع الجزيرة Al-Jazirah.com، 2 شباط/فبراير 2015.

⁴⁵ حسين إبيش Hussein Ibish، تحالف السعودية السني الجديد "Saudi Arabia's New Sunni Alliance"، ذي نيويورك تايمز The New York Times، 31 تموز/يوليو 2015.

⁴⁶ السعودية تبين لبّنا في الاضطراب مع رجل الدين الإسلامي "Saudi Arabia Signals Easing of tension with Islamic cleric"، رويترز Reuters، 2 تشرين الأول/أكتوبر 2015.

⁴⁷ حسين إبيش Hussein Ibish، تحالف السعودية السني الجديد "Saudi Arabia's New Sunni Alliance"، ذي نيويورك تايمز The New York Times، 31 تموز/يوليو 2015.

كانت علاقة السعودية مع «الإخوان المسلمين» معقدة.⁴⁸ ففي حين وجد العديد من أعضاء الجماعة ملاذًا في المملكة في خمسينات وستينات القرن الماضي بعد قمع أنشطتهم في مصر وسوريا - وشغل العديد منهم صفوف المؤسسات التعليمية والدينية في السعودية، راحت الحكومة السعودية، وشريحة واسعة من الجمهور، تعتبر تيار الإسلام السياسي الذي تنتهجه الجماعة مصدرًا لعدم الاستقرار وحاضرًا للتشدد، وبخاصة في أعقاب هجمات 11 أيلول/سبتمبر في الولايات المتحدة (بحيث كان 15 من الجناة الـ 19 سعوديين).⁴⁹ وبينما أعرب بعض السعوديين عن دعم حملة الرئيس السيسي ضد الإخوان في مصر عبر وسائل الإعلام التقليدية والاجتماعية، كان جزء آخر من المجتمع السعودي - يصعب تحديد حجمه بدقة - يتعاطف مع «الإخوان» وخط الجماعة بين السياسة والدين.⁵⁰ لطالما كان عدد من رجال الدين السعوديين البارزين مرتبطين ارتباطًا غير وثيق مع جماعة «الإخوان» وفروعها المختلفة في جميع أنحاء المنطقة. وعلى الرغم من أنّ الدعم لجماعات متشددة أخرى مثل «داعش» و«القاعدة» يبدو محدودًا في المملكة،⁵¹ يسود اعتقاد واسع النطاق ومنتزاع بأنّ اعتبار الجماعات الإسلامية كلها مماثلة يأتي بنتائج عكسية. وفي حين كان دعم الملك عبد الله للرئيس السيسي واضحًا جدًّا، يبقى موقف الملك سلمان من جماعة «الإخوان» يميل إلى الاستيعاب، وبالتالي فهو يتعارض إلى حدّ ما مع موقف الحكومة المصرية.

وجهتا نظر بشأن سوريا

في قمة جامعة الدول العربية في شرم الشيخ يوم 29 آذار/مارس، فاجأ الرئيس السيسي الكثير من الحضور بقراءة رسالة من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بصوت عالٍ. وأعرب الرئيس بوتين عن قلقه إزاء استمرار العنف في المنطقة، ودعا لإيجاد حل سلمي للصراعات، ونصح بعدم «التدخل الخارجي». ولكن وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وجه ردًا لاذعًا للرئيس بوتين، وأعرب عن استيائه من أنّ روسيا «تتصرف كما لو ليس لها علاقة» بالمذبحة. وأشار وزير الخارجية بوضوح إلى أنّ الدعم الروسي لنظام الرئيس بشار الأسد في سوريا يجعلها متواطئة في حمام الدم السوري.⁵²

استثمرت السعودية رأس مال سياسي كبير في محاولة للإطاحة بالرئيس الأسد وإنهاء أساليبه الوحشية، ما يجعل تعامل السعوديين معه مستحيلًا عمليًا.⁵³ وستعتبر «داعش» والجماعات المتشددة الأخرى أي تغيير في الموقف السعودي تحالفًا مع الرئيس الأسد وإيران، الراعي الرئيسي له. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ السعوديين يلومون الرئيس الأسد على ظهور «داعش»،⁵⁴ ويقدمون حجة منطقية مفادها أنّ تعامل النظام بوحشية مع الأغلبية السنية السورية مكن «داعش» من إرساء تصوّر جهادي حصل على الدعم في تلك

48 ستيفان لacroix، Stéphane Lacroix، الإسلاميون السعوديون والربيع العربي "Saudi Islamists and the Arab Spring"، كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، 36 (أيار/مايو 2014).

49 باحث سعودي، حركة سروري أخطر حركة تنبثق من رحم الإخوان المسلمين "Surori Movement Most Dangerous to Emerge from the Muslim Brotherhood's Womb"، الحياة Al Hayat، 14 أيلول/سبتمبر 2014.

50 ستيفان لacroix، Stéphane Lacroix، مازق الإخوان المسلمين في السعودية "Saudi Arabia's Muslim Brotherhood predicament"، ذي واشنطن بوست The Washington Post، 24 آذار/مارس 2014.

51 دايفد بولوك David Pollock، الدعم الشعبي لداعش يكاد ينعدم في مصر والسعودية ولبنان "ISIS Has Almost No Popular Support in Egypt, Saudi Arabia, or Lebanon"، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى The Washington Institute for Near East Policy، 14 تشرين الأول/أكتوبر 2014.

52 ليزي ديردن Lizzie Dearden، المملكة العربية السعودية تتهم بوتين بالنفاق بسبب خطاب يحث على السلام بينما تشكل روسيا جزءًا من المشكلة "Saudi Arabia accuses Putin of hypocrisy over letter urging peace when Russia 'part of problem'"، ذي إندبيندنت The Independent، 30 آذار/مارس 2015.

53 وزير الخارجية السعودي يقول ألا محل للأسد في مستقبل سوريا "Saudi Foreign Minister says Assad has no place in Syria"، رويترز Reuters، 11 آب/أغسطس 2015.

54 السعودية ترفض دعوة روسيا للعمل مع الأسد ضدّ الدولة الإسلامية "Saudi Arabia Rejects Russian Calls to Work with Assad against IS"، أي أف بي Agence France Presse، 11 آب/أغسطس 2015.

الفئة، والأسوأ من ذلك، جذب عدة آلاف من المقاتلين من جميع أنحاء العالم للمشاركة في الصراع السوري على مدى السنوات القليلة الماضية.⁵⁵

تهدّد التحركات الروسية الأخيرة للانخراط مباشرة في الدعم العسكري لنظام الرئيس الأسد بتصعيد العنف وتوسيع نطاق الصراع.⁵⁶ وفي حين كانت استجابة الحكومة السعودية ضعيفة في البداية، قام قرار الرئيس بوتين بشنّ ضربات جوية بشكل رئيسي في المناطق التي تخضع لسيطرة «داعش» ابتداءً من شهر تشرين الأول/أكتوبر، أصابت واحدة منها على الأقل جماعة من الثوار دربتها الولايات المتحدة، بدفع المسؤولين السعوديين إلى إصدار توبيخ قوي للهجة لروسيا في الأمم المتحدة.⁵⁷ وبقدر مماثل من الأهمية، انتقد عدد من الكتاب السعوديين ما اعتبروه «غياب الحزم» الأمريكي بشأن سوريا، ما شجع برأيهم الرئيس بوتين على استخدام البلاد كورقة مساومة لتسوية النزاعات القديمة مع الغرب بشأن أوكرانيا وتوسيع حلف شمال الأطلسي.⁵⁸ ويبدو أنّ هذه الآراء تعكس أيضًا تفكير صناع السياسة السعوديين، أقله إلى حد ما.

على النقيض من ذلك، يبدو أنّ الرئيس السيسي يعتبر الرئيس الأسد أهون الشرّين بالمقارنة مع «داعش». وقد فسّر بعض المحللين زيارة قام بها ابن عمّ الرئيس الأسد إلى القاهرة في كانون الثاني/يناير على أنها محاولة ليختبر الرئيس السيسي كيف سيتعامل الحلفاء والخصوم الإقليميون مع تطبيع العلاقات مع سوريا.⁵⁹ ويشير آخرون إلى أنّ إرث الجمهورية العربية المتحدة - وهو الاتحاد الاسمي السياسي بين سوريا ومصر بين العاميين 1958 و 1961 - والعمل العسكري المصري السوري المشترك ضدّ إسرائيل في حرب العام 1973 قد أنشأ رابطاً مميزاً لم ينقطع بعد بين البلدين.⁶⁰ وعلى قدر مماثل من الأهمية، نجد أنه على عكس السعودية، لم تعرب مصر في عهد الرئيس السيسي إلا عن دعم فاتر للمعارضة السورية. وفي حين أعلن السعوديون عن جولات المساعدات الإنسانية العدة التي قدمتها الحكومة للاجئين السوريين في الأردن ولبنان وغيرها من البلدان، ثمة تقارير تفيد بأنّ السوريين الذين يعيشون في مصر تعرضوا لمزيد من التدقيق منذ الإطاحة بالرئيس مرسي.

اليمن مرة أخرى

ولعلّ اليمن هي المسألة الأكثر حساسية بين البلدين. وبحسب ما أشار التصويت بشبه إجماع في مجلس الأمن الدولي في نيسان/أبريل،⁶¹ يعتبر المجتمع الدولي أعمال العنف وعدم الاستقرار السياسي في اليمن خطراً جسيماً على الأمن في شبه الجزيرة العربية بشكل عام والسعودية بشكل خاص. ولم يكتفِ الحوثيون بالاشتباك مع المملكة في العام 2009،⁶² بل استفاد تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» أيضاً من

⁵⁵ فهد ناظر Fahad Nazer، المجازر السورية: العالم غير راغب في التدخل "Syrian Massacres: World Has No Appetite for Intervention"، بيل غلوبال أونلاين YaleGlobal Online، 12 كانون الثاني/يناير 2012.

⁵⁶ أندرو إي. كرايمر Andrew E. Kramer، بوتين يدافع عن المساعدة الروسية العسكرية لسوريا "Putin Defends Russian Military Aid to Syria"، ذي نيويورك تايمز The New York Times، 15 أيلول/سبتمبر 2015.

⁵⁷ السعودية تطالب روسيا بوقف الضربات على سوريا وتنتقد إيران "Saudi Arabia demands Russia end Syria raids, criticizes Iran"، رويترز Reuters، 1 تشرين الأول/أكتوبر 2015.

⁵⁸ أيمن الحمد Ayman Al Hamad، بوتين يعاقب الغرب على طريقته الخاصة "Putin Punishes The West in His Own Way"، الرياض، 19 أيلول/سبتمبر 2015.

⁵⁹ ماذا يفعل ابن عم بشار الأسد في القاهرة؟ "What Was Bashar Al Assad's Cousin Doing in Cairo?"، سي أن أن CNN (بالعربية)، 18 كانون الأول/ديسمبر 2014.

⁶⁰ مارك ج. سيفرز Marc J. Sievers، أسئلة بشأن السياسة المصرية تجاه سوريا "Questions About Egypt's Syria Policy"، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى The Washington Institute for Near East Policy، 14 كانون الثاني/يناير 2015.

⁶¹ مجلس الأمن يطالب بإنهاء العنف في اليمن، ويعتمد القرار 2216 (2015)، والاتحاد الروسي يمتنع "Security Council Demands End to Yemen Violence, Adopting Resolution 2216 (2015), with Russian Federation Abstaining"، موقع الأمم المتحدة UN.org، 14 نيسان/أبريل 2015.

⁶² أشر أوركبي Asher Orkaby، حرب السعودية مع الحوثيين: حدود قديمة وخطوط جديدة "Saudi Arabia's War with the Houthis: Old Borders, New Lines"، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى The Washington Institute for Near East Policy، 9 نيسان/أبريل 2015.

الفضى لتوسيع وجوده في اليمن، وبخاصة عبر المنطقة الجنوبية الشرقية الواسعة في حضرموت. حتى أنّ تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» قد اخترق الحدود الجنوبية للمملكة في حزيران/يونيو 2014، وقتل خمسة من حرس الحدود في يوم الجمعة الأول من شهر رمضان.

واقع أنّ الرئيس اليمني المعترف به دوليًا عبد ربه منصور هادي قد طلب رسميًا من السعودية التدخل عسكريًا لصدّ زحف الحوثيين جنوبًا نحو عدن، ونجاح السعوديين في تشكيل ائتلاف يضم 11 دولة، قد أضفى على العملية العسكرية جواً من الشرعية الدولية. وعلى الرغم من أنّ المصريين لم يطرحوا أي تساؤل بشأن ما إذا كان اليمن يشكل خطرًا أمينيًا على المملكة، بات واضحًا منذ بداية الصراع أنّ العديد منهم لا يعتبرونه خطرًا على أمنهم القومي الخاص.⁶³

ومع ذلك، كانت الحرب في اليمن لحظة حاسمة بالنسبة للمملكة وملكها الجديد. وأصبح أحد أبنائه - وزير الدفاع الأمير محمد بن سلمان - الوجه العام للتدخل في اليمن.⁶⁴ هدفت الحملة إلى إرسال ما لا يقل عن ثلاث رسائل مختلفة إلى ثلاث فئات مختلفة. تقول الحملة لإيران إنه لا يُسمح لها بالانقضاض

على المجال التقليدي للتأثير السعودي في شبه الجزيرة العربية، وللولايات المتحدة إنّ المملكة لن تتردد في القيام بأي عمل عسكري أحادي الجانب لحماية أمنها القومي. وأخيرًا، التدخل في اليمن هو أيضًا ممارسة لتأكيد الذات. إنه اختبار لقدرات الجيش السعودي، وبخاصة لأنّ أداءه في الحرب ضد الحوثيين في العام 2009 لم يكن مذهلاً، وممارسة للحزم الوطني والوحدة.

على الرغم من أنّ المصريين لم يطرحوا أي تساؤل بشأن ما إذا كان اليمن يشكل خطرًا أمينيًا على المملكة، بات واضحًا منذ بداية الصراع أنّ العديد منهم لا يعتبرونه خطرًا على أمنهم القومي الخاص.

في تموز/يوليو، حقق السعوديون وحلفاؤهم تقدمًا مهمًا، وأخرجوا الحوثيين وحلفاءهم من عدن وكلّ الجنوب تقريبًا. ولكنّ هذه العملية تأتي مقابل ثمن باهظ من حيث خسارة الجنود والمدنيين، بما في ذلك العشرات من الدول الحليفة مثل دولة الإمارات العربية المتحدة. ولكن بدلًا من اضطراب التحالف لهذا السبب، يعبر أعضاء آخرون عن تصميم مماثل، وبخاصة دولة الإمارات.⁶⁵ ولكن يبدو أنّ مصر ما زالت حتى الآن بمنأى عن الصراع إلى حدّ ما، وليس غياب القرب الجغرافي وحده ما يمنع مصر من لعب دور كبير في اليمن. في ستينات القرن الماضي، أصبح اليمن «فييتنًا» بالنسبة إلى مصر. وبعد ثماني سنوات من الحرب، لم تحقق مصر أو السعودية نصرًا واضحًا، على الرغم من المظاهر التي أشارت إلى أنّ حلفاء مصر حققوا النصر. وكان ذلك درسًا قاسيًا مفاده أنّ المصريين والسعوديين يحاولون تجنب تكرار ذلك السيناريو.

وفي حين لم يكن ثمة أي لبس بشأن دعم الرئيس السيسي للأمن السعودي، أرسلت تصريحاته إشارات متضاربة بشأن التزامه بالعملية في اليمن.⁶⁶ وفيما قالت بعض الشخصيات الإعلامية المصرية إنه ينبغي على مصر الابتعاد عن اليمن، ذهب البعض إلى أبعد من ذلك وأعلنوا ألا مفرّ من الفشل.⁶⁷ وردّ بعض

⁶³ مايكل شارنوف Michael Sharnoff، الموقف المصري من الحرب في اليمن "Egyptian Attitudes Toward the Yemen War"، يور ميدل إيست *Your Middle East*، ١٧ نيسان/أبريل 2015.

⁶⁴ دايفد د. كيركباتريك David D. Kirkpatrick، تصاعد سعودي مفاجئ كأمير بين الأمراء "Surprising Saudi Rises as a Prince"، *The New York Times*، 6 حزيران/يونيو 2015.

⁶⁵ آدم شريك Adam Shreck، الخليج يشدد تصميمه على خلفية وفاة جنود في اليمن "Gulf stiffens determination in wake of troop deaths in Yemen"، أسوشياتد بريس *Associated Press*، 7 أيلول/سبتمبر 2015.

⁶⁶ ليلي فاضل Leila Fadel، بعض المصريين يتساءلون عن دور البلاد في الصراع اليمني "Some Egyptians Question Country's Role in Yemen Conflict"، أن بي آر *NPR*، 3 نيسان/أبريل 2015.

⁶⁷ هيكل يهاجم السعودية ويمدح إيران وحزب الله ويؤكد أنّ مصر تسعى للتقارب مع طهران "Haikal Attacks Saudi Arabia"، القدس العربي (بالعربية)، 21 تموز/يوليو 2015.

الصحفيين السعوديين باتهام مصر باتباع الخطاب المزدوج، واستشهدوا حتى بتسجيلات مسربة زُعم أنها تظهر السيسي، الذي كان مرشحًا رئاسيًا آنذاك، وكبار مستشاريه يحقرون زعماء دول الخليج العربية، في حين يخططون للحصول على مساعدة مالية منهم.⁶⁸ وعلى الرغم من أن مصر عضو من التحالف الذي تقوده السعودية وتساهم في العملية العسكرية، يبقى نطاق مشاركتها محدودًا بدعم بحري للحصار، ووفقًا لبعض التقارير، ساهمت أيضًا بحوالي ٨٠٠ جندي من المشاة بدعم من دبابات ومركبات نقل. وعلى الرغم من التقارير التي تفيد بأن القوات البرية المصرية قد شاركت في الحملة، أعلنت وزارة الدفاع مؤخرًا عن عدم وجود قوات مصرية في اليمن حاليًا، وبالتالي، يبقى الحجم الفعلي للمشاركة غير واضح إلى حد ما.⁶⁹

الطريق إلى الأمام

يواصل صناع السياسات السعوديون والمصريون ادراكهم بشكل واضح فوائد العلاقات الثنائية القوية. ففي شهر آب/أغسطس، وقعت الدولتان على إعلان القاهرة في محاولة لتعزيز التعاون العسكري والاقتصادي بينهما بشكل أكثر.⁷⁰ ويجدد هذا الاتفاق التزام البلدين بتشكيل قوة عسكرية عربية مشتركة يُفترض بها أن تستند بمعظمها على الجمع بين المعدات العسكرية الجوية وعالية التقنية التي تمتلكها السعودية والدول الخليجية الأخرى مع القوة البشرية والخبرات المصرية. ويؤشر الاتفاق أيضًا ضرورة توسيع نطاق العلاقات الاقتصادية والتجارية، وترسيم الحدود البحرية الذي طال انتظاره للقوتين في البحر الأحمر.⁷¹ وفي اليوم الذي تلا صدور الإعلان، أعلن الرئيس السيسي أن القوات المصرية تمدد التزامها في اليمن دعمًا للتدخل بقيادة السعودية لمدة ستة أشهر أخرى.⁷²

بالنسبة إلى المصريين، فإن الثروة النفطية السعودية وقيادتها الفعلية للعالم الإسلامي السني يجعلان السعودية حليفًا لا غنى عنه، لا سيما وأن شريان الحياة للاقتصاد المصري، أي السياحة، ما زال يعاني نتيجة الاضطرابات، وبخاصة في سيناء. ويعترف السعوديون أن مصر ما زالت ذات ثقل إقليمي، فخبرتها العسكرية الواسعة وقواتها المسلحة الكبيرة نسبيًا، وبخاصة من حيث القوى البشرية، قد تشكل أهمية قصوى بالنسبة للمملكة، لا سيما في حال تشكيل قوة عربية مشتركة.⁷³ ومن جانبها، تحتاج مصر بشكل ملح إلى الدعم المالي المستمر والكبير من دول الخليج، بما فيها السعودية.

تحتاج كل من مصر والمملكة العربية السعودية إلى زيادة قدراتها من خلال الاستفادة مما يمتلكه الطرف الثاني وتفنقر هي إليه. وعلاوة على ذلك، يعني الاتفاق واسع النطاق بشأن معظم القضايا الإقليمية - على الرغم من بعض الخلافات السياسية الهامة - أن هذا التحالف بمعظمه مريح بقدر ما هو منطقي، فالسعي إلى اعتماد موقف مثالي في خلال فترة من الاضطرابات غير المسبوقة أمر غير واقعي. ولا يمكن دائمًا

⁶⁸ يارا بيومي Yara Bayoumy، الرئيس المصري السيسي يطمئن القادة الخليجيين بعد تسريبات صوتية محققة مزعومة "Egypt's Sisi reassures Gulf leaders after alleged derisive audio leaks"، رويترز Reuters، 9 شباط/فبراير 2015.

⁶⁹ المتحدث باسم التحالف بقيادة السعودية: لا جنود مصريين في اليمن "There are no Egyptian ground troops in Yemen: Saudi-led coalition spokesman"، الأهرام أونلاين Al Ahram Online، 11 أيلول/سبتمبر 2015 - راجع أيضًا: مصادر أمنية مصرية: مصر ترسل 800 جندي للمشاركة في حرب اليمن "Egypt sends up to 800 ground troops to Yemen's war - Egyptian security sources"، رويترز Reuters، 9 أيلول/سبتمبر 2015.

⁷⁰ السيسي: مصر والسعودية رائدتان في مجال الأمن العربي "Sisi: Egypt and Saudi are leaders of Arab security"، العربية، 30 تموز/يوليو 2015.

⁷¹ مصر والسعودية تصدران إعلان القاهرة لتعزيز التعاون "Egypt, Saudi Arabia issue 'Cairo Declaration' to strengthen cooperation"، الأهرام أونلاين Al Ahram Online، 30 تموز/يوليو 2015.

⁷² خالد داوود Khaled Dawoud، مصر والسعودية تستعرضان الدعم علنًا "Egypt and Saudi Make a Public Show of Support"، أتلانتيك كاونسل Atlantic Council، 11 آب/أغسطس 2015.

⁷³ هيذر مورودوك Heather Murdock، جامعة الدول العربية تأخر تشكيل قوة مشتركة "Arab League Delays Forming Joint Force"، فويس أوف أميركا Voice of America، 27 آب/أغسطس 2015.

اعتماد السياسة القائلة «أنت إما معنا أو ضدنا» ومن المحتم أن تكون نتائجها عكسية. ويبدو أنّ كلا الجانبين يفهمان ذلك ويعترفان بالقيمة العميقة التي يقدمها الطرف الثاني، بقدر كافٍ لضمان مواصلة قيام القاهرة والرياض بدور الحليفين وليس الغرق مرة أخرى في المنافسة كما في العصور السابقة.

